مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (27) – العدد (01) (جوان، 2026) -ص 55- 78
ISSN 1111-5149 /E. ISSN 2430-2588

يهود الفلاشا بين البحث عن الهوية الدينية والتأثير داخل الكيان الصهيوني

Falasha Jews between the search for religious identity and influence within the Zionist entity

خديجة جوادة[1]*، جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، kh.djouada@univ-alger.dz
https://orcid.org/0009-0007-4799-7679

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
2025-11-02	2026-05-01

ملخّص

تتناول هذه الورقة البحثية واحدةً من أبرز الفرق اليهودية التي يثار حولها كثير من الجدل الديني والتاريخي والسياسي، قديمًا وحديثًا، ألا وهي: فرقة يهود الفلاشا أو يهود إثيوبيا. وقد حاول البحث التركيز على هذه الطائفة التي تزعم انتماءها إلى اليهودية تاريخًا وعرقًا وعقيدةً، مع التحقيق التاريخي في أصولها وجذورها التي اختلف حولها الباحثون والدارسون لهذه الفرقة. كما يتتبع البحث مسار استغلال الحركة الصهيونية لهذه الفرقة في الهجرة نحو فلسطين، بغية تحقيق أهداف استيطانية وديموغرافية في المنطقة. وباعتماد منهج تحليلي استقرائي، يكشف البحث الخطط التي رسمها الكيان الصهيوني منذ اكتشافه لهذه الفرقة اليهودية في الأراضي الإثيوبية، بهدف استغلالها وتهجيرها إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة.

كما يقف هذا البحث على المشكلات العقدية والدينية والاجتماعية، والظروف التي واجهها أفراد الفلاشا داخل الكيان الصهيوني، مما يفتح المجال أمام الباحثين لإجراء دراسات أكثر عمقًا حول مكونات المجتمع اليهودي، الذي يسعى إلى تحقيق نسيج اجتماعي متماسك يجمع شتات اليهود عبر العالم، وهو أمر يصعب تحقيقه في ظل حجم الفروقات والتناقضات التي تجمع بين فرقه ومكوناته.

الكلمات المفتاحية: اليهودية؛ الفلاشا؛ إثيوبيا؛ الصهيونية.

Abstract

This research paper addresses one of the most controversial Jewish groups in religious, historical, and political discourse, both in the past and present: The Falasha Jews, or Ethiopian Jews. The study focuses on this community, which claims affiliation with Judaism in terms of history, ethnicity, and belief, while also investigating its historical origins and roots, which remain a subject of disagreement among scholars and researchers. Furthermore, the paper traces the trajectory of the Zionist movement's exploitation of this group in encouraging migration toward Palestine, with the aim of achieving settlement and demographic objectives in the region. Adopting an inductive analytical approach, the study reveals the plans devised by the Zionist entity since its discovery of this Jewish community in Ethiopian territories, seeking to exploit and relocate it to the occupied Palestinian territories.

The research also examines the doctrinal, religious, and social challenges, as well as the conditions encountered by members of the Falasha community within the Zionist entity. This opens the door for further in-depth studies on the components of Jewish society, which seeks to establish a cohesive social fabric capable of uniting Jewish communities scattered around the world, a goal that remains difficult to achieve given the significant differences and contradictions among its various groups and components.

Keywords: Judaism; Falasha; Ethiopia; Zionism.

* المؤلف المراسل

مقدّمة

لا يعد ذلك الكيان الصهيوني المزروع على أرض مغتصبة إلا دولة قومية، أراد مؤسسوها أن يجمعوا شتات اليهود من كل بقاع الأرض في كيان منسجم ومتكامل، إلا أنّ النظرة الأولى إلى مكونات هذا المجتمع بأطيافه المختلفة والمتنوعة إلى حد التناقض، تصطدم بفروق شاسعة بين فرقه وطوائفه، وهو اختلاف يمتد إلى أصول الديانة اليهودية.

ومن أكثر الفرق التي أثارت الجدل قديما وحديثا، خاصة عند الخوض في واحدة من أهم القضايا اليهودية، وهي مسألة النقاء الجنسي والعرقي لليهود؛ فهي جماعة من اليهود كتبت معالمها في التاريخ القديم للجماعات اليهودية الأولى، وتستمر في الوجود والتأثير إلى يومنا هذا، خاصّة بعد قيام دولة الكيان الصهيوني (إسرائيل) عام 1948م، ونقصد بهؤلاء: "اليهود الإثيوبيين أو الفلاشا".

تعد الفلاشا من الفرق اليهودية القديمة، كما تتحدث مختلف النظريات التاريخية عن أصل هؤلاء اليهود الذين استقروا في إثيوبيا، ضمن حقب تاريخية قديمة تعود إلى ما قبل الميلاد، وسنحاول من خلال هذا البحث، التعريف بهذه الفرقة من اليهود، وإزالة اللبس المتعلق بأصولها وعقائدها وواقعها المعاصر عموما، وفي داخل الكيان الصهيوني على وجه الخصوص.

ومن خلال ما سبق تتأسس إشكالية البحث حول هوية يهود الفلاشا وبحثهم عن الانتماء اليهودي المتجذر في التاريخ، وبين واقعهم وحاضرهم الإسرائيلي في دولة تجمع المتناقضات وتحاول أن تؤلف بينهم، ويمكن إجمال ذلك في التساؤل الآتي:

- من هم يهود الفلاشا؟ وما حقيقة انتمائهم العرقي والتاريخي والديني؟
- ما الدور الذي يؤديه يهود الفلاشا اليوم داخل الكيان الصهيوني؟ وكيف تسعى الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة إلى تحقيق التوافق والانسجام بين يهود الفلاشا وغيرهم من الطوائف اليهودية؟

أولا- أصل يهود الفلاشا

يثار حول الفلاشا أو يهود إثيوبيا، جدل تاريخي وإثني كبير، اختلف فيه الباحثون في تصوير تاريخ هذه الجماعة وأصولها؛ إذ نجد تباينا ملحوظا بين آراء المؤرخين والباحثين والرحالة والمستكشفين، مما يدفعنا الى البحث في حقيقة هؤلاء، غير أنه قبل عرض مختلف النظريات التاريخية ومناقشتها التي تحدثت عن هذه الفرقة، نرى ضرورة البدء بالتعريف بها، وتحديد المواقع التاريخية التي استقرت فيها.

1. التعريف بفرقة الفلاشا

بداية لا بدّ أن نشير إلى أنّ الخلاف بين الباحثين والمؤرخين كان السمّة الغالبة في دراساتهم للفلاشا، سواء من حيث تسميتهم أم أصولهم؛ فالجدال قائم بين فريق يعدهم من أصول عبرانية، وفريق آخر يرجعهم إلى الأصول الإفريقية، مما يقودنا إلى ضرورة تتبع تسمية يهود الفلاشا، من ناحية الجذور اللغوية والتاريخية للكلمة، والمفهوم الاصطلاحي لهذه الفرقة

أ. مصطلح الفلاشا لغة

"الفلاشا" كلمة أمهرية تعني "المنفيين" أحيانا، كما تحمل معنى "غريب الأطوار" في أحيان أخرى (المسيري، 2\ 158)، وفي هذا السياق يرجع محمد جلاء إدريس كلمة "فلاشا" أو "فلسين" إلى اللغة الجعزية (انظر التعليق رقم: 1) ، ويرى أن معناها هو المهاجر والمنفي (إدريس، 1993، صفحة 87) ، أي السكان غير الأصليين للبلاد. فهي تعني "أجانب" بالمعنى الحرفي (هادي حسن، 2011، صفحة 70). فالفلاشا كلمة تدل على الهجرة والغربة، ولهذا فهي تسمية غير محببة لديهم.

أمّا إذا عدنا إلى قواميس اللغة العبرية؛ فإننا نجد أنّ معنى "الفلاشا" "פלשים"(فلاشيم) تشتق من الفعل الثلاثي"פלש" " ف ل ش" بمعنى غزا وفتح واخترق وزحف واقتحم ونفذ (التونجي، 2002، صفحة 265)، خلافا لما نقف عليه في اللغة السريانية، التي تعني بهذه الكلمة: نقب، ثقب، نهب، سلب وفتش (إدريس، 1993، صفحة 88).

بينما نجد أهل إثيوبيا وسكانها يطلقون تسمية "الفلاشا" على هذه الجماعة، إشارة إلى أنها جماعة إثنية إفريقية تدين بشكل من أشكال الديانة اليهودية، مع أنها لا تنتمي إلى التقسيمات الكبرى لليهود من الأشكيناز أو السفارد أو يهود العالم الإسلامي (المسيري، 2\ 158)، علما أن تسمية الفلاشا يطلقها أهل الحبشة على هذه الجماعة من اليهود، في حين يطلق هؤلاء على أنفسهم اسم" بيتا إسرائيل" وتعني "قبيلة إسرائيل" (الخوند، 1994، صفحة 1\ 106).

وبهذا تتعدد المعاني للمصطلح نتيجة لتعدد اللغات التي تعبّر عنه، والأقوام التي تستخدمه، مما يجعلنا عاجزين عن الوصول إلى حقيقته، ولا نجد حلا لهذا العجز إلا البحث في معناه الاصطلاحي.

ب. الفلاشا اصطلاحا

ورد في الموسوعة اليهودية عن الفلاشا أنهم: "جماعة إثنية في أثيوبيا تزعم أنها من أصل يهودي، ومرتبطة بنوع من أنواع الديانة اليهودية يستند إلى العهد القديم، والكتب الخارجية "أبوكريفا"(التعليق رقم: 2)، أي الكتب غير المعتمدة، والكتب الدينية الأخرى التي ظهرت بعد الانتهاء من تدوين العهد القديم" (المسيري، 2\ 160)، كما يمكننا تحديد جملة من المميّزات العامّة، المرتبطة بهذه الفرقة تجعلنا نصل إلى مبتغانا، نجملها فيما يأتي:

- إن هذه الجماعة هاجرت إلى الحبشة من أماكن أخرى، ومن ثم فهي غريبة عن هذه الأرض.
- تسمية هذه الجماعة ارتبطت بالمجتمع الحبشي بالغربة والانعزال (إدريس، 1993، صفحة 88-89).

ومنه نستنتج أنّ الفلاشا هم جماعة يهودية استقرت في إثيوبيا الإفريقية، غريبة عن هذه الأرض، وترتبط في معتقداتها بالديانة اليهودية، مما دفع العلماء والمؤرخين إلى الاختلاف في تحديد أصولها العرقية والدينية.

2. الأصول التاريخية لفرقة الفلاشا

يذكر جعفر هادي حسن، أنّ هناك من يرى أنّ الرحالّة "جيمس بروس"(انظر التعليق رقم: 3) ، أول من نبّه إلى وجود اليهود الإثيوبيين في كتابه" Tavels to discover the soursed of the vile" (1768-1772م) (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، وليس هذا غريبا عن الرجل، فهو رحالّة اسكتلندي وصل إلى القاهرة عام 1768م، ومنها سافر إلى قنا ثم القصير على البحر الأحمر، ووصل إلى جدّة ثم اتجه إلى مصوع ومنها اتّجه إلى أكسوم(انظر التعليق رقم: 4) عاصمة إثيوبيا القديمة، ثم من أكسوم إلى جندار، وبتقربه من حاكم الحبشة سمح له بالتجول في أنحاء البلاد، فكتبت رحلته في سبع مجلدات وصف فيها البلاد التي ساح فيها (الجمل عطا اللّه ، عبد الرزاق ابراهيم، 2002، صفحة21).

من بين ما ذكره جيمس بروس في كتابه، اكتشافه ليهود أسماهم "الفلاشا"، وقد ذكر شيئا من عاداتهم وتقاليدهم، وبعض من تاريخهم، بحسب ما رووه له، ولكن جعفر هادي حسن ينفي أن يكون جيمس بروس أول من تحدث عن اليهود الفلاشا، بل يؤكد أنّ العرب قد سبقوه بوقت طويل لمآ التقوا بهؤلاء وتعرفوا عليهم عن كثب، ويذكر اثنين من هؤلاء، الأول هو "شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الجيزاني" الشهير بعرب فقيه (ت 1533م)، في مؤلفه المهم "تحفة الزمان أو فتوح الحبشة"، وقد تحدث عنهم في سياق حديثه عن حروب الإمام أحمد ابن إبراهيم في الحبشة، أمّا الثاني فهو المؤرخ "الحيمي" (ت 1072ه) من القرن السابع عشر في كتابه "سيرة الحبشة"، حيث قدّم عرضا عن يهود الفلاشا، وحالهم في بلاد الحبشة واصفا ديانتهم ومواقعهم وأحوالهم(هادي حسن، 1996، صفحة7).

ومن هنا يمكن القول إنّ العرب كانوا من أوائل من تحدّث عن يهود الفلاشا بحكم أسبقيتهم في اكتشاف أراضي الحبشة وسكانها، وهذا بحكم طبيعة ترحالهم وتجوالهم المعروفة عن القبائل العربية، كما أن موقع الحبشة بالنسبة لمناطق انتشار العرب، لم تكن بالمكان البعيد، بل كان ضمن المناطق التي وصل إليها العرب، واكتشفوا طبيعة سكانها وأهليها وتاريخها.

إنّ معالجة إشكالية أصل يهود الفلاشا، تجرنا إلى الميل للآراء التي أشارت إلى غموض أصولهم، نتيجة غياب الحقائق التاريخية التي تؤكد رأيا أو نظرية وتنفي الباقي.

ويمكن أن نقف أمام نظريات وآراء تاريخية متعددة تفسر وصول الديانة اليهودية إلى أرض الحبشة واعتناق مجموعة من سكانها لها، غير أنّ السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان قبل ذلك، يتعلق بكيفية وصول الديانة اليهودية إلى أرض الحبشة؛ وهنا نجد أنفسنا أمام آراء ونظريات تاريخية مختلفة ومتباعدة تصل إلى حدّ التناقض، نجملها كما يأتي:

- **الرأي الأول:** نبدأ برأي يهود أثيوبيا أنفسهم الذين يرجعون أصل ديانتهم اليهودية إلى زمن سليمان (عليه السلام) والملكة بلقيس (الخوند، 1994، صفحة 1\ 107)، وأن أصلهم من فلسطين، ويستندون إلى قصة ذكرت في كتاب "كبرى نغست" (مجد الملك)، وهو كتاب يجمل تاريخ أثيوبيا وملوكها، ويرجع الكتاب إلى أنّ ملوك أثيوبيا هم من أحفاد سليمان (عليه السلام) والملكة بلقيس (هادي حسن، 1996، صفحة 7) ، ومن هنا نجد رأيين متقاربين، إمّا أنّه بعد رجوع بلقيس من زيارتها

لسليمان (عليه السلام) في أورشليم، ويرى كثير من العلماء أنّه رجع معها فريق من اليهود ليمثلوا بلدهم تكريما لها (ولفنسون، 1927، صفحة 39) ، ومن ثمّ استوطنوا في أثيوبيا وهذا الفريق هو من شكل نواة يهود الفلاشا بعد زواجهم بالسكان الأصليين لأثيوبيا (البرموسي، 2003، صفحة 26).

ويرى فريق من العلماء أنّ الملكة بلقيس أنجبت من سليمان (عليه السلام) ولدا يدعى "منليك"، وهذا الأخير قام بزيارة لأبيه سليمان (عليه السلام) في أورشليم، ومُسح ملكا حسب العادة عند بني إسرائيل القديمة، وفي عودته سرق تابوت العهد من الهيكل وحفظه في عاصمته أكسوم (غيث، د ت: 33). وهذا الرأي يطابق ما نشرته صحيفة معاريف الإسرائيلية بتاريخ 7 فبراير 1997م في مقالة، جاء فيها أنّ تابوت العهد موجود في مكان سري في مدينة أكسوم، التي تقع في شمال أثيوبيا، وكانت عاصمة لها في عصر سليمان (عليه السلام)، وبأنّ "منليك" ابن سليمان من بلقيس ملكة سبأ سرق التابوت من أبيه أثناء بناء المعبد وهرب به إلى أثيوبيا، والقصة كما أوردنا تذكر أيضا في كتاب "مجد الملك" أو "ترنيمة الملوك"(الحارتي، د ت، صفحة 80).

كما يورد قس الكنيسة الأثيوبية بأنّ "الفلاشا" هم من أحفاد اللاويين، وهو الاعتقاد نفسه الذي نجده عند رجال الدين الفلاشا، فهم يعدّون أنفسهم شعب اللّه المختار بدل باقي اليهود، لأنّ التابوت في حمايتهم. ولكن بعد مناقشة لهذا الرأي، فإنّ قصة سليمان (عليه السلام) وملكة سبأ صحيحة بحسب ما ورد في سفر الملوك الأول 10: 1-31، وفي سفر الأخبار الثاني 9: 1-12، غير أننا نجد في كتاب "كبرى نغست" –الذي ذكرناه سابقا-، تفاصيل تزيد عمّا ورد في التناخ، وهذا ما يدفع الباحثين إلى التشكيك فيما يورده الأثيوبيون، لاسيما أنّ هذه المملكة لم يحدد اسمها وقد أطلق عليها بالعبرية مملكة "شبا"، وترجمتها العبرية "مملكة سبأ" وقد سمّى القرآن الكريم هذه المملكة "سبأ" وهي ترتبط باليمن أكثر من أي مكان آخر (هادي حسن، 1996، صفحة 7). وهذا الرأي يستند إليه الفلاشا في إثبات جنسهم اليهودي، ومشروعية ديانتهم، وكما يرتكز عليه أغلب اليهود، لإثبات يهودية جنس الفلاشا؛ ولكن يبقى هذا الرأي من أضعف الآراء التي لا تستند إلى حقائق علمية وتاريخية تثبت صحته، بل يبقى مجرّد تخمينات وقصص ليس لها قاعدة تاريخية ثابتة.

- **الرأي الثاني:** يرى بعض الباحثين أن يهود الفلاشا هم من أحفاد اليهود الذين قدِموا من اليمن بين القرن الثاني الميلادي (إدريس، 1993، صفحة 16)، والقرن السادس الميلادي (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، حيث نشبت حروب بين الملك الأثيوبي النصراني كالب وبين الملك العربي الجنوبي اليهودي المعروف بذي نواس (ظاظا، 1971، صفحة 321)، وهذا الرأي قائم كما هو واضح من التقارب بين اليمن أو الجزيرة العربية عموما وبين بلاد الحبشة، كما أنّه يعتمد بشكل مباشر على الوجود المبكر لليهود على أرض الجزيرة العربية.

وفي المقابل نجد الباحثين الغربيين من يشكك في هذا الرأي أو الطرح التاريخي ومنهم "روبنسون Robinson" (انظر التعليق رقم: 5)، فهو يشكك في كون اليهودية تأسست في جنوب الجزيرة العربية قبل نهاية القرن الرابع الميلادي حتى تمكّن أهلها من نشرها في إثيوبيا (إدريس، 1993، صفحة 28).

- **الرأي الثالث:** ويرى رأي آخر أنّ اليهود الأثيوبيين هم مجموعة إثنية دينية من أحفاد اليهود، ممن يسمون بالقبائل الضائعة التي هاجرت مجموعة كبيرة منها إلى إثيوبيا (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، يلتقي هذا وهذا الطرح يلتقي مع ما تدّعيه جماعة من اليهود، أنّ أصل يهود الفلاشا هو انتماؤهم إلى سبط دان أحد الأسباط العشرة، وما يستندون إليه هي الأخبار التي رواها رحالة ظهر في القرن التاسع الميلادي، يُدعى "الداد هدني"، **وقد** ظهر في العديد من التجمعات اليهودية في كل من بابل ومصر والقيروان واسبانيا، والسند الثاني لهذا الرأي، ما كتبه الرابي إلياهو الذي هاجر من ايطاليا واستقر في القدس عام 1434م، فكان مدرسا للتوراة ومفسرا لها، وفيما كتبه رسالة إلى أبنائه تحدث فيها عن يهود الحبشة واختلافهم عن سائر اليهود وعدم إيمانهم بالتلمود(إدريس، 1993، صفحة 20-23).

كما أنّ أصحاب هذا الرأي يعتمدون على شكل يهود الفلاشا الذي قالوا إن بشرتهم ليست شديدة السواد كباقي الأثيوبيين، وبالتالي ليسوا من أصل إفريقي، وإنما جاءوا واختلطوا مع السكان المحليين وتزاوجوا معهم، ولكن شكل اليهود الأثيوبيين لا يوضح فرقا بينهم وبين باقي الإثيوبيين مثل الأمهرة والتغريين والأغوا، وكذا الدراسات التي أجريت على الدم أثبتت أن الفلاشا يختلفون تماما عن باقي اليهود (هادي حسن، 1996، صفحة 7) ، وهذا الدليل الذي ينفي الادعاء والآراء السابقة.

- **الرأي الرابع:** يرى أصحاب هذا الرأي أنّ يهود الفلاشا يعودون إلى أصول مصرية، وحسب الرواية التي ترى أن طائفة من اليهود هاجرت في أعقاب تدمير الهيكل الأول إلى مصر ومنها إلى الحبشة حسب ما جاء في سفر إرميا :" وقال الرب لأرميا:" قل لجميع اليهود الساكنين في مجدول وفي تحفنحيس وفي ممفيس و فتروس من أرض مصر..."(إرميا، 44\1) فاليهود اتجهوا من مصر إلى الجنوب (إدريس، 1993، صفحة 24) وحسب ما يؤكده الباحثون، كما يدعم هذا الرأي رأي آخر، وهو أنّ يهود أثيوبيا هم من أحفاد اليهود الذين جاءوا من جزيرة الفيلة في النيل، والتي تقع مقابل أسوان الحالية، وتسمى بالمصرية القديمة "يب" وسماها اليونانيون " Elefhantine" (ألفنتين)، وكان ضمن جنود هذه الجزيرة يهودا، خاصة أثناء الحكم الفارسي على مصر منذ عام (525 ق. م)، ولكن تلك الجالية اليهودية بعد نهاية الحكم الفارسي في نهاية القرن الخامس ، تمّ إجلاؤها وهناك من اتجه إلى إثيوبيا، ومن أصحاب هذا الرأي " إسحاق بن زفي" الرئيس السابق لإسرائيل الذي ألف كتابا عن الأقليات اليهودية "redeemed The exiled and the" (هادي حسن، 1996، صفحة 7). وهناك من أيّد هذا الرأي بأدلة تثبت الأصل المصري للفلاشا، مثل التشابه في يهودية الجاليتين كعادة تقديم القرابين ودخول مصطلحات آرامية إلى النص الجعزي للكتب المقدسة ومنها العهد القديم (إدريس، 1993، صفحة24).

- **الرأي الخامس:** ويرى الرأي الأخير إلى أن يهود الفلاشا، ليسوا من أصول يهودية؛ بل هم من السكان الأصليين الذين تهودوا على يد أحد الدعاة من التجار أو غيرهم، مثلما تنصّر الأحباش على يد القديس المصري "الأنبا مقار" (ظاظا، 1971، صفحة 321)، وقد نشبت بين الفلاشا صراعات حادّة وحروب بينهم وبين جيرانهم المسيحيين (المسيري، 2\ 158).

وهذا الرأي السابق أكده "جوزيف طوبيانا"، المختص في الحضارات الإفريقية، في حديثه إلى صحيفة "لوماتان" (Le Matin) في الخامس من كانون الثاني 1985م أنّ :" أصل الفلاشا الأسود وفهمهم الخاص جدا للدين اليهودي يؤكدان أنهم أفراد قبيلة أثيوبية دخلت الدين اليهودي بعد أن أدخلوا عليه تعديلات تتناسب ومفاهيمهم المستمدة من وسطهم وبيئتهم"(الخوند، 1994، صفحة 1\ 107)، ولهذا فإنّ عبادتهم وشعائرهم خليط من الوثنية والمسيحية واليهودية، وإنّ ما يسمى باليهودية هو بقايا بعض المعتقدات العبرية التي دخلت من اليمن، في حدود القرن الأول الميلادي؛ فلا تكاد تجد فرقا بين أدبيات اليهود الأثيوبيين والتقاليد الأثيوبية، فلا تختلف معظم عاداتهم وعباداتهم عن باقي السكان الأثيوبيين ويستدل أصحاب هذا الرأي بأنّ هناك اختلافا واسعا بين احتفالات الأعياد لدى اليهود عامّة ويهود الفلاشا، فالأعياد التي ظهرت بعد النفي لا يعرفها الفلاشا كذلك، كما أنّهم لا يعرفون التلمود وأحكامه (هادي حسن، 1996، صفحة 7) ، كما يضيف "جوزيف طوبيانا" أنّ الفلاشا ينحدرون بالأساس من "الأغوا"، وهو أقدم شعب سكن شمالي أثيوبيا، وكان هذا قبل حكم الساميين الذين جاءوا من اليمن بعد انهيار مملكة سبأ وتأسيسهم لمملكة أقسوم" أو "أكسوم"، وهذه الأخيرة انهارت بعد صراعات في القرن الرابع الميلادي، وتوزع شعب الأغوا بين ثلاثة ديانات رئيسية؛ القسم الأول اعتنق المسيحية الأورتذكسية، وقسم ثان هاجر إلى منطقة أخرى تدعى "البابان"، والثالث اعتنق اليهودية، وبقي في منطقة "غوندور" إلى تاريخ تهجيرهم إلى الكيان الصهيوني (أوائل 1985م) (الخوند، 1994، صفحة 1\ 107) ، من المؤيدين كذلك لهذا الرأي ولندرو Ullendrouff" في كتابة " Ethiopia and the bible" كما يرى آخرون أنّ التقاليد المميزة للفلاشا قد تبلورت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، نتيجة امتزاج عناصر دينية وسياسية، وتداخل بين جماعات سميت "ايهود" (يهود) عرفت فيما بعد باسم الفلاشا أو "بيتا إسرائيل" (إدريس، 1993، صفحة 33- 34).

يتضح مما سبق تضارب الآراء واختلافها حول تحديد الأصل الحقيقي ليهود إثيوبيا "الفلاشا"، وهذا راجع إلى غياب الوثائق والحقائق التاريخية التي تثبت رأيا وتبرهن عليه وتنفي آخر، ولعلّ الداعي الأول حول النقاش المحتدم حول أصل هذه الطائفة من اليهود، هو وجودها في مكان بعيد تاريخيا وجغرافيا - نوعا ما- عن باقي الجماعات اليهودية، أو لأنّ الخصائص الفيزيولوجية والشكلية من ناحية، وخصائص ديانتهم اليهودية من ناحية أخرى، تثير الكثير من الجدل؛ فهم لا يشبهون باقي اليهود في جنسهم، وهذا ما يضع اليهود أمام التاريخ لتوضيح أسطورة النقاء الجنسي لليهود، ليوضع هذا الاحتمال محل الهدم والنفي المؤكد، ولقد حاولنا الإلمام بهذه الآراء التاريخية حول أصل اليهود لتوضيحها للقارئ والباحثين في ميدان الدراسات اليهودية، وهذا الذي سنذكره في أجزاء البحث الآتية؛ وهو أنّ يهود الفلاشا عبارة عن خليط وامتزاج العديد من المعتقدات والعادات والعبادات المختلفة؛ وصولا إلى قضية هجرتهم إلى إسرائيل والدافع الحقيقي وراء تهجيرهم الذي يطرح العديد من التساؤلات من مسألة الاعتراف بهم كيهود، إلى مكانتهم داخل الكيان الصهيوني اليوم.

ثانيا- يهودية الفلاشا

بعد أن تحدثنا عن الأصول التاريخية وتضارب الآراء حول الجذور الحقيقية ليهود أثيوبيا، ننتقل إلى مناقشة الجانب الديني والعقدي، والحياة اليومية لهذه الفرقة من اليهود، للتحقق أكثر من مدى ارتباط هذه الجماعة بالديانة اليهودية، وما تحويه من معتقدات وكتب مقدسة وتاريخ مشترك بينها وبين باقي الطوائف اليهودية، للكشف من خلالها عن الإطار العقدي والإيماني للفلاشا، ومدى التزامهم بتعاليم الديانة اليهودية وفي المقابل نبحث عن رأي باقي الفرق اليهودية في هذه الطائفة، وخاصة اليهودية الحاخامية التلمودية.

مما سبق يمكننا طرح جملة من التساؤلات حول مدى ارتباط الفلاشا بالديانة اليهودية منها: هل يمكن القول إن الفلاشا من الجماعات التي زاوجت بين أصولها الإثيوبية - التي تختلف عن باقي اليهود أشد الاختلاف في عرقهم وجنسهم وتعاليمهم الدينية- وبين بعض تعاليم الديانة اليهودية؟ وفيم تتمثل هذه التعاليم وأركان يهودية الفلاشا؟ وأي الكتب اتخذها هذه الجماعة كتبا مقدسّة؟ وهل تختلف عن اليهودية الحاخامية أم لا؟

1. الكتب المقدسة لدى الفلاشا

عند عودتنا لما كتب عن الفلاشا وجدنا أنها تشترك مع غيرها في الاعتماد على التناخ ككتاب مقدس، بمختلف أسفاره، غير أنها تميل إلى الرأي الذي يجعل من عدد أسفاره ستة وأربعين سفرا، وليس تسعة وثلاثين (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، وهي مكتوبة بخط اليد، وباللغة الجعزية السامية التي قدسها نصارى الحبشة وتكلموا بها قديما (إدريس، 1993، صفحة 102)، فالفلاشا لا يعرفون اللغة العبرية إطلاقا (الخوند، 1994، صفحة 1\ 107)، علما أنها لغة مقدسة لدى باقي اليهود والعبادات اليهودية تؤدى بها عند جل اليهود.

وقد تأثر الفلاشا بعدّة كتب بعضها تابع للكنيسة القبطية، ومنها كتاب "أرديت" (التلاميذ)، أعمال موسى وجورجوريوس النبي، ومدراش أبا إلياهو ... وكتب الآباء مثل آدم وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون، وصيغة هذه الكتب تتلاءم والنصرانية في الكنيسة القبطية (إدريس، 1996، صفحة 102).

ونستطيع أن نلخص بقية المبادئ العقدية التي يقول بها يهود الفلاشا على النحو الآتي:

-رغم أن التلمود يعد مصدرا مقدسا عند الكثير من اليهود، إلا أن الفلاشا لا يؤمنون به، ولا يعترفون به، على خلاف اليهودية الحاخامية التلمودية، وهم بهذا يماثلون القرائين والسامريين وكذا الصدوقيين في هذه المسألة (هادي حسن، 1996، صفحة 7).

-لا يعرفون شيئا من مدونات الجاؤونيم (انظر التعليق رقم: 6).

- كما لا يدركون مختلف التطورات التي خضع لها التشريع اليهودي عبر المراحل التاريخية، التي مرّ بها اليهود.

- لا يؤمنون ببعض التفاسير الشفوية التي انتقلت إليهم جيلا بعد جيل.

- كما أنّ هناك من يرى أنّ بعض المعتقدات لدى الفلاشا تتفق مع ما كان سائدا لدى بعض الطوائف التي انفصلت عن اليهودية الحاخامية التلمودية كالصدوقيين والسامريين والقرائين،

وجميعها لا تؤمن بالتلمود، ولا سائر المرويات الشفوية؛ ومن هنا تباينت تشريعاتها عن اليهودية الحاخامية (ادريس، 1993، صفحة 103).

2. شرائع وأحكام الديانة اليهودية عند الفلاشا

يؤمن الفلاشا بالشكل القديم للديانة اليهودية، ولكنها معدلة وفق بيئتهم (الخوند، 1994، صفحة 1\ 107)، فهم يؤمنون باللّه الواحد، واختياره لشعب إسرائيل، والوصايا التي أعطيت لموسى (عليه السلام) على جبل سيناء، كما يؤمنون بالثواب والعقاب والعالم الآخر، والجنة وجهنم، وكذا البعث والنشور، والمسيح المخلص آخر الزمان، ويطلق عليه الفلاشا اسم "تيودروس"، وشروح الوصايا والمسائل الدينية لا يعرفها سوى الكهان من الفلاشا والمقربين منهم من كبار السن، كما أنّ الكهان لا يملكون سوى اليسير من الكتب المقدسة وكتب الصلوات (إدريس، 1993، صفحة 105)، ويلاحظ أنّ أصول الديانة اليهودية وأركانها تماثل ما هو موجود عند باقي اليهود وعقائدهم لم تتغير، وكذلك لم يمسهم التغيير والتطور في الديانة اليهودية التي مسّ باقي الجماعات اليهودية وهذا راجع لبعدهم وانعزالهم.

يمارس الفلاشا تقديم الأضاحي في مناسبة الفصح، وأحيانا في المناسبات الدينية المختلفة (هادي، 1996، صفحة 7)، ويقدمها الكهنة، ويتميّز الفلاشا كذلك بنمط لا يُعرف بين اليهود، وهو يماثل ما نجده عند المسيحيين، وهو أنّ بعضهم يعيش حياة الرهبنة، ويطلق عليهم لقب" ناذير" "נדיר" وهي لفظة عبرية تعني "الذي نذر نفسه للشعائر الدينية وانقطع لها"، فمنهم من يعيش حياة النساك والزهاد في الجبال والصحاري (المسيري، صفحة 2\160)، وقد كان لحياة الرهبنة دور مهم في حياتهم (هادي حسن، 1996، صفحة7)، وهم بهذا الشكل يختلفون أشد الاختلاف عن بقية اليهود.

يصلي يهود إثيوبيا "الفلاشا" عادة سبع مرات في اليوم والليلة، وليس ثلاث صلوات كما عند بقية اليهود (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، وهناك من يذكر أنّ للفلاشا ثلاث صلوات إضافية في أيام السبت والأعياد، وبعض المناسبات الأخرى، مثل الصلاة السابقة للوليمة واللاحقة لها، واستقبال الضيف ووداعه وذكرى الأموات والختان والزواج وغيرها (إدريس، 1993، صفحة 106- 107)، وصلاتهم من تأليفهم ويقرؤونها باللغة الجعزية، فهم لا يعرفون العبرية أو الآرامية (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، وللإضافة فإنّ الصلوات والتبريكات التي ظهرت عند اليهود، وأسسها الأحبار منذ بداية الهيكل الثاني، غير معروفة بين الفلاشا، كما أنّ المستشرق يوسف هاليفي ترجم عام 1977م صلوات الفلاشا إلى العبرية؛ فظهر الاختلاف الكبير بينها وبين الصلوات اليهودية المعروفة، كما أنّ الفلاشا يسمون مكان العبادة "مسجد"(هادي حسن، 1996، صفحة 7)، الذي يتشابه مع اسم مكان العبادة لدى المسلمين، وهذا يرجع إلى تأثر الفلاشا بالمعتقدات التي جاوروها كالإسلام وكذا المسيحية، كما يسمى مكان العبادة لدى الفلاشا أو بيت "إجزا بهير" أو"بيت الإله"، الذي يتكون من حجرتين، تسمى الحجرة الداخلية "מקום קדוש" أي "قدس الأقداس" (انظر التعليق رقم: 7)، وهو يماثل هيكل سليمان القديم، ولا يدخله إلا الكاهن أو الشماس، تحفظ فيه التوراة، ولا يسمح للنساء

بدخوله إلا المتزوجات والعجائز (المسيري، 2\161)، كما أنّ المصلين يتجهون في صلاتهم ناحية القدس، وتصاحب الصلوات حركات ورقصات وأغاني بلغتهم الجعزية (إدريس، 1993، صفحة 106).

يحتفل الفلاشا بالأعياد التي ذكرت في التناخ، أمّا التي قننت خارجه، فهم لا يحتفلون بها، مثل عيد الفوريم وعيد الحانوكة، ويلاحظ في كثير من الشعائر التشابه بين الفلاشا والقرائين؛ فهم يحتفلون بعيد المظال دون صنع المظال، ولا يعرفون النفخ بالبوق في رأس السنة وغيرها من المناسبات التي تتفق مع القرائين (إدريس، 1993، صفحة 113)، ويضيف الباحثون أنّ الفلاشا يعتمدون التقويم المعتمد على الشهور القمرية إضافة إلى استخدام تقويم بلادهم، وقد اعترف الباحثون المتتبعون لتاريخ الفلاشا بوجود تشابه واضح بين الفلاشا و القرائين في العديد من المسائل(إدريس، 1993، صفحة 113).

للفلاشا أعياد خاصة بهم دون غيرهم من اليهود، أهمها عيد يدعى "سجد"(هادي حسن، 1996، صفحة 7)، يقام هذا الاحتفال في اليوم التاسع والعشرين من الشهر الثامن (أحشوان)، حيث يشارك فيه جمهور كبير ويجتمعون فيه باكرا وهم صيام، ويصعدون على رأس جبل يتقدمهم الكهنة وفي أيديهم التوراة، وفي قمّة الجبل يقرؤون التوراة وتتلى الصلوات، وترفع الابتهالات وينزلون بعد الظهر من على الجبل إلى القرى، ويليها ذبائح وأكل وسط الغبطة والفرح (إدريس، 1993، صفحة 118)، ويرجع سبب الاحتفال بهذا العيد إلى الاحتفال برجوع اليهود من السبي بقيادة عزرا ونحميا (هادي حسن، ، صفحة 7)، كما يضيف بعضهم أنّ هذا العيد يرمز لذكرى تلقي التوراة على جبل سيناء (إدريس، 1993،صفحة 118)، ويمكن القول كذلك إن الفلاشا ليس لديهم حاخامات وإنّما قساوسة (المسيري، 2\ 160)، فرجل الدين عند الفلاشا يسمى "قس"(هادي حسن، 1996، صفحة 7)، كما يذكر بأنّ الفلاشا يمارسون سر الاعتراف أيضا (الخوند، 1994، صفحة 1\ 107).

يعد يوم السبت من أهم الأيام المقدسة لدى اليهود عامّة، أمّا يهود الفلاشا فهم من أكثر اليهود تشددا في أحكام السبت (هادي حسن، 1996، صفحة7)، وكما هو معلوم فإن يوم السبت هو عيد أسبوعي لدى اليهود، وجل اليهود يحتفلون به، لمكانته الخاصّة عندهم، أمّا الفلاشا فقد حافظوا على السبت وأحكامه، وحرصوا عليه حرصا شديدا؛ فهم يستقبلونه ابتداء من يوم الخميس السابق له، بالاغتسال وغسل الملابس وإعداد الطعام، وكل الأعمال تنتهي ابتداء من يوم الجمعة ويتم ترتيب البيت وتنظيفه وارتداء ملابس السبت، كما يحظر إشعال النار للطهي ويؤكل الطعام باردا دون تسخينه، ولا عمل لهم من جماع أو ختان أو إيقاد الشموع حتى انتهاء يوم السبت (إدريس، 1993، صفحة 107 -112)، ويقضي الرجل يومه في الصلاة، ولكن المحرمات الخاصّة بيوم السبت تختلف نوعا ما عمّا هو موجود عند اليهود الأرثوذكس؛ فهم مثلا لا يعتبرون استخدام النور الكهربائي من المحرمات (المسيري، صفحة 2\ 160).

تحتل قضايا الطهارة والنجاسة لدى الفلاشا أهمية بارزة في حياتهم، فهم متشددون كثيرا في أحكامها، ويحرصون على عدم الاتصال أو الاقتراب من النجاسة، وهذا الالتزام نابع مما تذكره التوراة، ولعل هذا من أبرز الأسباب التي جعلتهم يبنون قراهم على ضفاف الأنهار لتسهيل تطهرهم، كما أنّه في اعتقاد الفلاشا أنّ غير اليهودي (الجويم) نجس لا يُسمح بلمسه، ولا بأكل طعامه، ولا

بدخول بيته، وهذا ما زاد من انعزالهم وعدم اختلاطهم بغيرهم، ومن صور النجاسة لديهم أيضا، نجاسة الميت وبالتالي نجاسة كل من قام بتغسيله أو حمله أو دفنه، ولذا يتعين على الفرد المكوث خارج القرية لسبعة أيام ولا يعود إلى بيته، ويغتسل في مياه النهر في اليوم الثالث واليوم السابع، وهذا لما ورد في التوراة ودليل على التزامهم الحرفي بها:"مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيْتَةَ إِنْسَانٍ مَا، يَكُونُ نَجِسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، يَتَطَهَّرُ بِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ يَكُونُ طَاهِرًا. وَإِنْ لَمْ يَتَطَهَّرْ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ لاَ يَكُونُ طَاهِرًا كُلُّ مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيْتَةَ إِنْسَانٍ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يَتَطَهَّرْ، يُنَجِّسُ مَسْكَنَ الرَّبِّ. فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ. لأَنَّ مَاءَ النَّجَاسَةِ لَمْ يُرَشَّ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً. نَجَاسَتُهَا لَمْ تَزُلْ فِيهَا " (العدد: 19\11-13) وبهذا فإن من أحكام التوراة أنّ من يحضر موتا عند موته أو يلمس عظما منه أو وطئ قبرا فإنّه يتنجس (ابن كمونة، دت: 45).

أمّا فيما يتعلق بأحكام الطهارة لدى المرأة؛ فالمرأة الطامث تعزل في كوخ أو خيمة تسمى "خيمة الدم" خاصة بها خارج القرية، وتبقى فيه إلى أن تطهر وتستعد المرأة للانغماس في النهر (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، وفي بعض الأحيان تقوم بقصّ شعرها وتقليم أظافرها وإزالة أوساخها وغسل ملابسها (إدريس، 1993، صفحة 127).

وفيما يتعلق بالمرأة الحامل، فإن من تضع طفلا (ذكرا) تعزل لمدة أربعين يوما، وثمانين يوما لمن تنجب أنثى، وبانتهاء الفترة تنغمس في الماء وتطهر ملابسها قبل الرجوع إلى بيتها، ويحرق الكوخ أو الخيمة بعد مغادرة الطامث أو الوالدة (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، ويصحب هذا العديد من طقوس غريبة وتلاوات ومراسيم التي يقوم بها الكاهن.

الختان من الشرائع التي يلتزم بها الفلاشا أيضا، كما هو معروف عند جميع اليهود، وعادة ما يتم في اليوم الثامن من الولادة، وإن صادف اليوم الثامن السبت فإنّه يؤجل إلى اليوم التاسع (إدريس، 1993، صفحة 129- 137)، رغم أنّ باقي اليهود يعدّون وجوب الختان قبل وجوب السبت؛ فجل الأعمال محرمة باستثناء الختان (ابن كمونة، دت: 47)، كما يلتزم الفلاشا بأحكام الزواج فيما بينهم فقط، ولذا فقد حافظ الفلاشا على عدم الاختلاط بغير اليهود، عكس ما يمارسه كثير من اليهود في أوربا على وجه الخصوص.

ولذا فالكثير من الطقوس ومظاهر التعبّد لدى الفلاشا، تنطلق من الديانة اليهودية، ولكنها اتخذت طابعا مغايرا، وذلك تأثرا بطبيعة المجتمع الذي عاش فيه هؤلاء، وهذا بحكم البعد عن باقي الجماعات اليهودية، والانفصال المعرفي والتاريخي الطويل الذي حصل بينهم وبين باقي اليهود؛ وهذا ما جعل يهودية الفلاشا، تتخذ شكلا آخر في المدونات المقدسة، والعادات والعبادات اليومية، وعلى الرغم من هذا فإنّ هؤلاء لم يختلفوا عن باقي اليهود الذين كان للمجتمعات والثقافات المختلفة التي عاشوا في كنفها، الأثر الكبير والعامل المؤثر والفعّال في سلوكياتهم وطقوسهم وعباداتهم، فوصلت في كثير من الحالات إلى الأصول والعقائد، إلّا أنّ الفلاشا أثاروا نوعا من البلبلة بين اليهود اليوم، خاصّة في مسألة الاعتراف بهم كيهود، من المؤسسة الدينية الحاخامية اليوم في إسرائيل، وهذا ما سنحاول تحليله والإجابة عن إشكالياته في أثناء حديثنا عن أوضاع الفلاشا اليوم في الكيان الصهيوني.

ثالثا- الأوضاع العامة للفلاشا بين أثيوبيا والكيان الصهيوني

عاش الفلاشا في إثيوبيا زمنا طويلا، ومهما اختلفت التفسيرات حول ديانتهم، وانتسابهم للديانة اليهودية، التي تراوحت بين هجرتهم وأصولهم اليهودية القديمة، أو تهودهم في فترات زمنية متباعدة، إلاّ أنّ واقعهم اليوم وبعد اكتشاف أماكن انتشارهم وانتسابهم للديانة اليهودية.

ولهذا سعى الكيان الصهيوني الحديث النشأة، إلى مناقشة قضية يهود إثيوبيا من كل جوانبها التاريخية والدينية، وبهذا برزت إلى السطح قضية الفلاشا في الوقت الحاضر ومدى انتسابهم لليهود عرقا وجنسا ودينا، وإمكانية الاعتراف بهم كيهود أو رفضهم داخل المجتمع اليهودي، وهذا ما نحاول الحديث عنه في هذا العنصر.

1. أوضاع الفلاشا في أثيوبيا

اتخذت طائفة الفلاشا اليهودية الحبشية حياة العزلة طابعا مميزا لها عن المجتمع الإثيوبي، حيث تمركزت في أعالي وأصعب جبال الحبشة "جبال سيميان"(سوسة، 2003، صفحة 196)، وفي محيط بحيرة تانا في شمال غرب أثيوبيا، وسكنت قرى بدائية وفقيرة صغيرة للغاية خاصّة بها، تضم الواحدة منها نحو خمسين إلى ستين عائلة على الأكثر (أشبير، دت: 98). وأكبر التجمعات للفلاشا هي الواقعة بجوار مدينة "جوندار" كما أنّ ملامح أتباعها الفيزيولوجية لا تختلف عن باقي الأثيوبيين كثيرا، ونمط حياتهم يشبههم أيضا (المسيري، صفحة 2\ 159)، فهم يعملون أساسا في الزراعة بوصفهم عمالا أجراء، كما يحترفون بعض المهن مثل صناعة الفخار والغزل والنسيج وصنع السلاسل، والحدادة والصياغة وحياكة الملابس وكذا حرفة البناء في المدن.

كما لم يكن لهم حق امتلاك الأراضي في إثيوبيا؛ لأنهم لم يكونوا موظفي الدولة، فالحال هذه أشبه بأوروبا الإقطاعية، حيث كانت الخدمة العسكرية الإلزامية للدولة أو الكنيسة شرطا للتملك، وإذا كان بعضهم من سكان أقصى الغرب يملكون الأراضي؛ ففي المناطق الأخرى كانوا يعملون حرفيين وممارستهم للزراعة تتم على أراض يمتلكها المسيحيون، ولم ينطبق حظر التملك على الفلاشا فقط وإنما على مجمل الحرفيين بصرف النظر عن طوائفهم (المسيري، 2002، صفحة 360- 359)، وبهذا نستطيع القول إن هؤلاء اليهود لم يعيشوا بمعزل عن بقية الإثيوبيين؛ بل كان لهم اعتقاد راسخ بتميزهم عنهم، وأنهم أفضل منهم في ممارساتهم وسلوكياتهم وديانتهم، وقد كانوا لا يسافرون بعيدا، وهذا لأنهم لا يأكلون طعام غيرهم، وكذا اللحم التيّء بصفة أخص (غير المطبوخ) خلافا لبقية الأثيوبيين.

تميّز الفلاشا بنظرتهم الفوقية إلى غير اليهود، مما زاد في فرضية الانعزال الذي يأمرهم بها دينهم، ولذا فقد لاقوا الممارسة نفسها من الأثيوبيين، حيث نظروا إليهم أيضا نظرة دونية، ونظرة احتقار وتشكيك في سلوكياتهم دائما، والتحذير المستمر منهم، وأطلقوا عليهم كلمة "Tib "وهي تعني الروح الشريرة التي تتقمص الشخص فيؤذي الآخرين. كما يعتقد الإثيوبيون أنّ الفلاشا يتحولون ليلا إلى ضباع تحفر القبور وتأكل الجثث، وفي بعض المناطق في إثيوبيا اعتبروهم سحرة وآكلي لحوم البشر، حيث يأكلونها بطريقة سحرية غامضة (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، ولتوارثهم مهنة الحدادة اهتموا بالسحر، ولطالما ارتبطت مهنة الحدادة بالسحر حتى من الأثيوبيين

أنفسهم، بل ويذكر أنّ أحد ملوكهم في القرن الخامس عشر حكم على الحدادين بالإعدام لاتهامهم بالسحر. كما أنّ المعتقدات الشعبية تتداول روايات مختلفة عن يهود الفلاشا منها: أنهم ولدوا في جهنم، ويبصقون نارا؛ لذلك يجب أن يعيشوا في عزلة تامة، وكل هذه التهم ينفيها الفلاشا عن أنفسهم حتى أنهم ذكروا هذا لآخر ملوك الحبشة "هيلاسي لاسي" (انظر التعليق رقم: 8) في إحدى رسائلهم عام 1958م-1959م، وعموما لم تكن ليهود أثيوبيا (الفلاشا) علاقات طبية مع ملوك الحبشة خاصة مع أولئك الذين أجبروهم على اعتناق المسيحية (هادي حسن، 1996، صفحة 7).

2. الفلاشا والكيان الصهيوني

إن الدارس للتركيبة البشرية للمؤمنين بدين ما، يكتشف ذلك التنوع الإثني واللغوي بين هؤلاء الذين يجتمعون تحت مظلة الدين الذي يؤمنون به، فهل ينطبق هذا الأمر على اتباع الديانة اليهودية؟

الواقع أن من يدرس طبيعة هذه الديانة يجد نفسه أمام مفارقة غريبة؛ فإذا كانت منطلقات أغلب الديانات تركز على الطبيعة الانسانية لها، غير أن الأمر يختلف تماما في اليهودية، فهي تنطلق من مسلمة مفادها، أنها ديانة لشعب محدد ينتمي إلى عرق معين، ويؤمن برب محدد.

إلا أن الملاحظ لأتباعها يكتشف وجود تناقض بين هذه المسلمة والنتائج المترتبة عليها، فهو غير قادر على تفسير النقاء العرقي المزعوم؛ ذلك أن هؤلاء الاتباع لا ينتمون إلى عرق واحد، ولا يتكلمون لغة واحدة؛ بل يتوزعون في مناطق جغرافية متباعدة، تجعل من التواصل بين هؤلاء في غاية التعقيد والصعوبة، إن لم يكن مستحيلا عبر قرون عدة.

وقد نجد من هؤلاء – بالإضافة إلى العبرانيين-، من ينتمي، إلى القبائل العربية، ومن ينتمي إلى شعوب رومانية ويونانية وفارسية وخزرية (وسط آسيا) وإفريقية، وقد تنبه العديد من الباحثين إلى هذه الحقيقة.

ونذكر على سبيل المثال، المؤرخ والفيلسوف الفرنسي أرنست رينان، الذي تحدث عن نقاء اليهود قائلا": "لا يجوز حتى الحديث عن هذا، فقد تعرّض اليهود للتمازج مع الشعوب الأخرى بنفس القدر الذي تعرّضت له الأجناس الأخرى، ورغم إصرار الصهيونية على نقاء العرق اليهودي، إلا أنّ الكثير من مفكري الصهيونية يدركون واقعا عبث وخطأ مثل هذا الطرح" (رينان، 1998، صفحة 160- 161)، ويضيف المفكر اليهودي يوسف حاييم برنر مؤكدا هذا الرأي بقوله: "كل ما نعرفه عن حياتنا يشير إلى أنّ الجماهير اليهودية ليست لها السّمة الاجتماعية بالمعنى السوسيولوجي، ونحن لسنا شعبا مترابط الأجزاء" (السعد،1998، صفحة 160- 161)، ذلك أن إشكالية الهوية من المشاكلات التي سببت ازعاجا، منذ أكثر من قرنين من الزمن بسبب ما عاشه هؤلاء من شتات، وما نتج عنه من عزلة عن المجتمعات التي عاشوا فيها أينما حلوا.

في حين نجد الكثير ممن يعدّ هذه العزلة اختيارية؛ لأن الهدف منها هو المحافظة على خصوصية هذه الجماعة وشريعتها، فكانت هذه العزلة هي الشرنقة التي احتوت وحافظت على الحياة الروحية لهؤلاء، حتى تحين العودة إلى أرض الميعاد وحلول الخلاص الميسياني، فقد ظلّ الدين

اليهودي على هذا النحو من القرن الثاني قبل الميلاد إلى منتصف القرن الثامن عشر، الموجه الوحيد لحياة اليهود عامّة (الشامي، 1997، صفحة 9- 10).

ومع بداية القرن الثامن عشر ظهر مفهوم "القومية" في الخطاب اليهود والكتابات الصهيونية بصفة خاصة، في مقابل المفهوم القومي الأوروبي الذي عرف باسم الوعي القومي (السعد، 1998، صفحة 261)، وكانت هذه أهم الأفكار الممهدة لظهور الصهيونية على يد زعمائها، وهذا من أبرز شعاراتها.

لطالما ارتبط مفهوم الهوية لدى اليهود بالهجرة، وهذان المصطلحان – الهوية والهجرة- يرتبطان بجذر واحد في الفكر اليهودي وهو الأرض؛ فالدين اليهودي مرتبط ارتباطا وثيقا بالأرض وتعاليم التوراة لا يكتمل تحقيقها إلا على أرض فلسطين، وأصبحت من أركان الإيمان إن لم يكن جوهر الدين اليهودي(إدريس، 1993، صفحة 145- 146)، حسب ما ورد في سفر إشعيا :" ولا يقول ساكن في أورشليم :"اللّه تخلى عني " والشعب المقيم بها تغفر له خطيئته" (إشعيا: 33\24)، على هذه العبارة وغيرها التي وردت في التناخ، استندت الصهيونية، التي جمعت شتات اليهود، واستطاعت أن تقيم دولة لليهود على أرض فلسطين- ولو كانت مؤقتة- تجمع آراءهم وأفكارهم ومذاهبهم، من كل الأنحاء والقارات على أرض واحدة وهدف واحد.

أمّا فيما يتعلق بالفلاشا فإنّ أول اتصال لهم بسائر اليهود، فقد كان في القرن الخامس عشر ميلادي، حيث ظهر هذا من خلال كتابات حاخام القاهرة في ذلك الزمن، والتي دلّت على وجود اتصالات بينه وبين "يهود لهم عادات غريبة في أثيوبيا" ولكن هذه الاتصالات لم تأخذ طابع الجدية، أمّا الاهتمام الجدّي بالفلاشا من قِبل اليهود، فقد برز في القرن التاسع عشر، بعدما علم اليهود بوجود يهود في أثيوبيا، وهذا بعد ظهور كتاب "جيمس بروس" –الذي تحدثنا عنه سابقا- وأنّ جماعة من المبشرين ذهبت إلى أثيوبيا للتبشير بينهم، وانتدبت جمعية الأليانس اليهودية (انظر التعليق رقم: 7)، "هاليفي" -أحد الباحثين اليهود المهتمين بمهمة الاتصال بيهود أثيوبيا-، الذي سافر عام 1867م وبقي بين الفلاشا عدّة أشهر، وعند رجوعه اصطحب معه أحد الفتيان منهم لدراسة اليهودية في أوروبا، وقدّم هاليفي تقريرا عنهم وعن أحوالهم وقدّر عددهم آنذاك بنحو مائة وخمسين ألفا وهو أقل من العدد الذي قدره جيمس بروس(هادي حسن، 1996، صفحة 7) ووصف رحلته بينهم وأشار إلى تمسك الفلاشا بيهوديتهم وانتمائهم إلى شعب إسرائيل وإله إسرائيل القاطن في القدس المقدسة (إدريس، 1993، صفحة 166).

ومن الاتصالات التي يذكرها بعض الدارسين ليهود الفلاشا مع باقي اليهود؛ هو اتصال تم بين القرائين الذين كان لهم اهتمام بالفلاشا، واعتبروهم الطائفة الأقرب إليهم خاصّة في إيمانهم بأسفار التناخ فقط، وعدم اعترافهم بغيرها من المشنا والتلمود، وأقوال حاخامات اليهود، ففي عام 1896م توجه قراؤو "بيتر بورج" بروسيا إلى الفلاشا برسالة تضمنت ثمانية عشر سؤالا عن شرائعهم، كما أنّه تمّ في القرم عام 1897م اجتماع للطوائف القرائية، وتقرر إرسال وفد منهم لإخوانهم اليهود الأحباش إلّا أنّ هذه الخطوة لم تتحقق (إدريس، 1993، صفحة 168- 169)

وقد سافر عضو من الحركة الصهيونية العالمية إلى منطقة الجوندار حيث يقيم الفلاشا في عام 1904م(الخوند، 1994، صفحة 1\ 107)، اسمه "جاك فيتلوفتش" بتشجيع من أستاذه "هاليفي" وهذا بعد حصوله على مساعدات مالية من البارون اليهودي "روتشيلد"(هادي حسن، 1996، صفحة 7) ، وحاخام باريس "زادوك كوهين" (الخوند، 1994، صفحة 1\ 107) ، كما يذكر بأنه سافر عدّة مرات إلى أثيوبيا حاملا معه مساعدات مالية، وأسس مدرسة خاصّة باليهود في أديس أبابا وبعض المدارس المتنقلة، التي خففت من حدّة التبشير المسيحي، التي كانت على أشدها كما أنّ "فيتلوفتش" أسس جمعية للدفاع عنهم (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، كما أدى هذا الأخير- فيتلوفتش- دورا هاما في تعريف العالم بهم ونقل الرسائل بين الطرفين، وظلّ نشطا بينهم حتى وفاته عام 1957م(إدريس، 1993، صفحة 169- 172)، أمّا بعد وفاته فقد أُنشأت جمعية يهودية في أمريكا لغرض تقديم مساعدات إلى اليهود الأثيوبيين، وحتى هذه الفترة لم يكن مشروع تهجير هؤلاء اليهود من إثيوبيا إلى إسرائيل (أرض فلسطين) واردا، بل انصب النشاط، كما هو ملاحظ، في إحياء اليهودية في أوساطهم، والحدّ من انتشار المبشرين المسيحيين بينهم والحفاظ على يهوديتهم.

3. تهجير الفلاشا إلى إسرائيل

بعد قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين عام 1948م، تأسست بمساعدة الإمبراطور "هايلي سيلاس" حوالي خمسين مدرسة في المناطق التي انتشر فيها الفلاشا من أجل تعليمهم العبرية واليهودية الحديثة، ولكن سرعان ما تلاشت هذه المدارس، وأقفلت أبوابها في أواخر الستينات بسبب عدم إقبال الفلاشا عليها (الخوند، 1994، صفحة 1\ 108)، وهناك من يرجع هذه المحاولات المستمرة منذ قيام الكيان في استقطاب بعض الفلاشا وتعليمهم في أوساط الصهيونية، من أجل أن يصبحوا عملاء لإسرائيل في بلاد الحبشة (ظاظا،1997، صفحة 321).

وكان للولايات المتحدة الأمريكية الأيادي البيضاء، وتدخل كبير في مسألة هجرة اليهود إلى فلسطين منذ أمد بعيد، وتجلى ذلك من خلال القرارات التي أصدرتها الهيئة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي الكونغرس الأمريكي التي تنصّ على المطالبة بفتح أبواب فلسطين أمام اليهود الوافدين إليها(حسين، 1992، صفحة 95)، من كل أقطار العالم، وبالنسبة للفلاشا فأول من طالب بتهجيرهم إلى إسرائيل هي الجمعية اليهودية في أمريكا، التي تأسست في بادئ الأمر لتقديم المساعدات إلى الفلاشا، ولكن الحكومة الأثيوبية كانت رافضة لهذه المسألة، وعندما زار "إسرائيل يشيعيا" إثيوبيا؛ رئيس الكنيست في الخمسينات، قال أنه من الأفضل أن يعتنق الفلاشا المسيحية لحل مشكلاتهم، وأيّده بعض المسؤولين الإسرائيليين في ذلك، وظلّ موقف معارضة جلبهم لإسرائيل وعدم الاعتراف بيهوديتهم، من طرف المؤسسة الدينية اليهودية الأرثوذكسية قائما، ومثال ذلك ما صرحت به "غولدا مائير" عندما كانت رئيسة الوزراء: "إنّ الفلاشا هنا سيكونون في حالة مزرية وموضوعا للاستخفاف والاحتقار" (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، وعبرت عن خوفها أن يكونوا جبهة مع السفارديم، وأن رفض هجرة الفلاشا وعدم قبولهم، يعد رأيا عاما ومتفق عليه بين اليهود في إسرائيل.

ولعلّ من الأسباب التي كانت وراء الرفض الأول لهجرة يهود الفلاشا هو عدم حاجة اليهود الإسرائيليين إليهم، أو أنهم تجنبوا الوقوع في مشاكل داخل الكيان الصهيوني، بالإضافة إلى المشاكل التي كانت داخل المجتمع الإسرائيلي، وهو لا يزال في بداية تكوينه، ومقبل على دمج اليهود القادمين من مناطق عدة وثقافات مختلفة؛ فالخوف من دخول جنس وعرق آخر، بعيد كل البعد عن باقي اليهود في تكوينه الاجتماعي والثقافي، وحتى الديني كان يسيطر على المسؤولين الإسرائيليين، إضافة إلى الحروب التي كان يخوضها اليهود مع العرب والفلسطينيين بعد قيام دولة إسرائيل، فهذه أبرز الظروف الداخلية والخارجية التي أدّت إلى الرفض الأولي لتهجير يهود الفلاشا إلى إسرائيل.

إنّ الصهيونية باتت تواجه منذ منتصف السبعينات مأزقا حقيقيا هو مشكلة الهجرة التي بدأت تكبر مع بداية الثمانينات، بعد انحصار هجرة اليهود وتقلصها في هذا العقد من الزمن، خاصة الهجرة من أوروبا وأمريكا، وبهذا اضطرت الصهيونية إلى البحث عن موارد جديدة للهجرة (شمالي والدجاني، 1990، صفحة 206)، فدعوة الفلاشا للهجرة إلى إسرائيل سبقتها العديد من العوامل السياسية والاقتصادية البحتة، لعلّ أبرزها حاجة إسرائيل المتزايدة إلى المستوطنين في الأراضي المحتلة، وتكثيف المستوطنات اليهودية فيها، وكذا سد النقص في المهن والحرف المتدنية التي يأنف المثقفون والمتعلمون في إسرائيل القيام بها، لأنها لا تليق بما اعتادوا عليه وحلموا به في إسرائيل، ولهذا تغيرت المقاييس وأصبح جلب الفلاشا إلى إسرائيل أمرا محتما بشتى الطرق والوسائل (إدريس، 1996، صفحة 173).

وظلت المراجع الدينية اليهودية تعتبر الفلاشا غير يهود حتى عام 1972م، وعندما أعلن كبير حاخامي طائفة السفارديم في إسرائيل، أنّ أعضاء أو أفراد الفلاشا هم من أحفاد قبيلة دان من الأسباط العشرة الضائعة فهم يهود حقيقيون (المسيري: 2\ 161)، وبعدها بدأت المحاولات الإسرائيلية الجادّة لفتح باب الهجرة ليهود إثيوبيا إلى الكيان الصهيوني، لكنها لقيت معارضة من قِبل الرئيس الإثيوبي "منجستو هايلي مريام" آنذاك، خاصة وأنّ علاقته مع الدول العربية كانت طيبة، ولكن تحرك اليد الصهيونية بوسائلها المختلفة حقق هدفهم في تهجير الفلاشا إلى إسرائيل، فرئيس الوزراء "مناحيم بيجن" الإسرائيلي آنذاك، زار الولايات المتحدة الأمريكية، وبفضل الضغط على الكونغرس الأمريكي رُفض طلب الرئيس الأثيوبي "منجستو"، الذي كان هو كذلك في زيارة عمل للولايات المتحدة، لشراء السلاح الذي كان في حاجة ماسّة إليه في مواجهة الصراع على الحدود بينه وبين الصومال، ولكنه بقي ثابتا في رأيه ولم يسمح بهجرتهم.

وتوجه الطرف الصهيوني نحو العمل السرّي لتهجير الفلاشا (إدريس، 1993، صفحة 174) ، فبدأت عمليات التهجير حوالي 1977م عبر المئات من الأشخاص، بموجب اتفاق سري بين وزير الخارجية للكيان الصهيوني آنذاك "موشي ديان" مع الحكومة الاثيوبية، والذي تم بموجبه إمداد السلاح إلى الجانب الإثيوبي مقابل السماح بهجرة يهود الفلاشا إلى الكيان الصهيوني، ولكن الاتفاق لم ير النور بالصفة التي أريدت له، بعد تسرب الخبر حول هذا الاتفاق، كما أن الجانب اليهودي كوّن عديد الجمعيات والمنظمات المهتمة بشؤون الفلاشا داخل اثيوبيا وخارجها منها؛ "جمعية مساعدة

الفلاشا في لندن" وأقيمت اللجنة نفسها داخل الكيان الصهيوني، كما كانت عديد الجمعيات البريطانية والأمريكية تعمل للأغراض نفسها منها: "اللجنة الأمريكية المشتركة" و"جمعية الاستعمار اليهودي" و"منظمة إعادة التأهيل من خلال التدريب (ORT)، التي كانت لها نشاط في مجال التعليم والصناعات الحرفية وبناء المدارس والعيادات ودور العبادة وشق الطرق وتقديم القروض للمزارعين وغيرها من الخدمات التي مست طائفة الفلاشا داخل اثيوبيا (كريم حمود وفوزي هادي، 2023، صفحة100).

ومرت عمليات تهجير الفلاشا إلى الكيان الصهيوني بثلاث حملات كبرى، حملت تسميات : موسى، سبأ وسليمان، وهذا للدلالة الدينية التي تحملها هذه التسميات بالنسبة لليهودي والفلاشي كليهما، في كانون الأول(ديسمبر) 1984م وكانون الثاني (يناير) 1985م، تمّ نقل الآلاف من الفلاشا في عملية تدعى "عملية موشي" (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، ووصل عدد الذين نقلوا في هذه العملية حوالي 12 ألف أثيوبي في جسر جوي عبر السودان في سرية تامة ووسط تعتيم إعلامي، وبمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية (المسيري: 2\ 161- 162)، في الوقت الذي كانت فيه موجة القحط والجفاف تجتاح أثيوبيا، مما ساهم في تشجيع الفلاشا على الهجرة هربا من المجاعة التي ضربت المنطقة، ويتّهم الرئيس السوداني آنذاك" محمد جعفر نميري" في تورطه في هذه العملية (الخوند، 1994، صفحة 108).

وهناك عملية أخرى تسمى "عملي سلومون" أو "عملية سليمان" عام1991م (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، بعد سقوط نظام "منجستو" حيث نقل فيها حوالي19.879 فردا من الفلاشا بواسطة جسر جوي بين أديسا أبابا وتل أبيب شمل أربعين رحلة (المسيري: 2\ 162)، ولقد تمت عملية سليمان التي شارك فيها النظام الأثيوبي قديمه وحديثه، والتي لولا دعم أمريكا ورعايتها ومباركتها لها لما كان لها أن تتم.

وقد مارست الصهيونية ضغوطها على الرئيس السوداني النميري بتدخل من جورج بوش نائب الرئيس الأمريكي وقتئذ، وذلك لتبدأ عملية أخرى سميت "عملية سبأ"، فكانت لما زار بوش الخرطوم في 6 مارس 1995م من أجل طمأنته وتأكيد ضمانه لنجاح العملية دون الكشف عن تورطه فيها، ولقد قامت الطائرات العسكرية الأمريكية بحمل المهاجرين إلى مطار عسكري في منطقة النقب، خلافا للاتفاق نص الذي على أن تتجه الطائرات إلى أوروبا أولا كما اشترط النميري، وبعد تسرب أخبار عن العملية، توقفت بعد أن بلغ عدد الذين هُجِّروا ما يقرب من عشرين ألفا من الفلاشا في العمليتين "موسى- سبأ" (إدريس، 1993، صفحة 174).

لقد بذلت المخابرات الإسرائيلية والأمريكية، وبتواطؤ مع بعض الأنظمة العربية، جهودا معتبرة من أجل نقل وتهجير الفلاشا، من موطنهم أثيوبيا إلى إسرائيل، لتحقيق أهدافها ومساعيها في إقامة دولة بأكبر عدد ممكن من المستوطنين، من كل أرجاء العالم تحت غطاء ديانتهم اليهودية، لكن هذا لم يكن محل اتفاق بين كل الفئات والفرق والأطياف داخل إسرائيل وخارجها، مما أثّر على عمليات الهجرة التي كانت في غاية السرية، كما كان لها أثر واضح في حالة اليهود الفلاشا داخل إسرائيل، وأوضاعهم الدينية والمدنية والاجتماعية.

4. الحالة الاجتماعية والدينية للفلاشا في الكيان الصهيوني

التيار السائد في الكيان الصهيوني اليوم هو قبول فرقة الفلاشا كونها من الفرق اليهودية ولكن بشروط (البرموسي، 2003، صفحة 27)، فنجد الكيان الصهيوني يضم حوالي 150 ألف من يهود أثيوبيا "الفلاشا"(كيوان، 1996، صفحة 156)، ولكن الخروج من العزلة والحياة البدائية والمتدنية داخل أثيوبيا، لا يعني النعيم والراحة والاستقرار داخل إسرائيل بالنسبة ليهود الفلاشا. فأول المشاكل التي اعترضتهم مسألة الانتماء والقومية، ومسائل عقائدية وإيمانية وهي التشكيك في يهوديتهم وعدم اعتراف المؤسسة الدينية الحاخامية بهم كيهود، خاصّة حين طلب منهم أن يؤدوا عملية التهود والتعاليم اليهودية طبقا لليهودية الأرثوذكسية (هادي حسن، 1996، صفحة 7). فما إن وطأت الفلاشا الكيان الصهيوني حتى تحول حلم الفردوس المنتظر إلى حجيم يومي، على الرغم من الجهود التي بذلها رئيس الوزراء "مناحيم بيغن"، واعتراف الحاخام "عوفوديا يوسف" وهو الزعيم الرزحي لحزب شاس، في منتصف سبعينيات القرن الماضي، إلا أن الفلاشا وجدوا أنفسهم أمام إعادة طقوس الدخول لليهودية لغسلهم من الرجس والوثنية التي اتهموا بها، كما أجريت لهم عمليات ختان فورية بصرف النظر عن أعمارهم.

وتبرز إلى السطح مشكلة أخرى وهي التمييز العنصري في المجتمع الإسرائيلي، وخاصة ضد اليهود السود "الفلاشا" أيضا (سوسة، 2003، صفحة 196)، حيث طرحت مشكلة اندماجهم في المجتمع اليهودي الصهيوني، بسبب احتقار انتمائهم الإفريقي أولا ولأسباب دينية أيضا، ففي سنة 2011، كما وصلت نسبة البطالة بين يهود الفلاشا إلى 45 بالمائة، حسب تقرير معهد ميريس جي. دي. سي بروكدال (Myers –JDC- Brookdale) في الوقت الذي تقول التقارير، إن نسبة البطالة في المجتمع اليهودي لا تتجاوز 5.6 بالمائة، وهي نسبة في تزايد مستمر بالنسبة لنسبة العاطلين عن العمل من الفلاشا التي وصلت 65 بالمائة سنة 2014 (أحمد ولد الأمير، 2017، صفحة 7).

كما أنّ المؤسسة الدينية الحاخامية بررت موقفها من الفلاشا كون هؤلاء انقطعوا لقرون عن الحياة اليهودية، إضافة إلى عدم اعترافهم بالتلمود مما يترتب عنه عدم صحة عقود الزواج وعدم صحة طلاقهم، ولذلك عليهم أن يتحولوا إلى اليهودية الأرثوذكسية تجنبا لهذه المشاكل مما يتوجب عليهم إعادة اختتانهم، لأنّ الختان الذي مارسه اليهود الأثيوبيين غير شرعي ومراسيم أخرى عليهم الالتزام بها، ولكن أغلب الفلاشا اعتبروا هذا إذلالا و إهانة في حقهم (هادي حسن، 1996، صفحة 7)، وطالبوا بحقوقهم بالعدالة والمساواة بينهم وبين غيرهم من اليهود، وأدهى من ذلك أنّ الفلاشا ذهلوا مما وجدوه في المجتمع الصهيوني وعدم حرصه على الشعائر اليهودية وخاصّة يوم السبت (المسيري: 2\ 162).

وبسبب ما كان يعانيه اليهود الفلاشا من ظلم اجتماعي وعنصرية عرقية؛ فقد هددوا بالمظاهرات والاعتصامات، والرجوع إلى إثيوبيا عن طريق مصر، فقد نشرت صحيفة "حاداشوت" صورة لاثنين من الفلاشا يحملان لافتة كتب عليها " نحن يهود مثلكم"، وهذا الشعار يدل على وعيهم الكبير بالتمييز العنصري الممارس ضدهم (الشمالي والدجاني، 1990، صفحة 210) ، وأوصلوا مشاكلهم لرئيس الوزراء آنذاك "شمعون بيريز" الذي تعهدّ بأنّ الحكومة ستحاول بشتى

الوسائل استكمال إنقاذ الفلاشا بشتى الطرق (الشمالي والدجاني، 1990، صفحة 208) ، وقد أدت ببعضهم بسبب هذه الضغوط إلى الانتحار في أوساط الفلاشا (هادي حسن، 1996، صفحة 7) ، وقد نشرت وكلات الأنباء نقلا عن مصادر لها في تل أبيب خبر انتحار أحد المهاجرين الأثيوبيين بسبب الظروف الصعبة هو وعائلته في إسرائيل، وقد أدى هذا الأخير قبل انتحاره: "لقد كنا في أثيوبيا بشرا أمّا هنا فلسنا سوى حمير" (إدريس، 1993،صفحة، 190) ، وقد قام الفلاشا بمظاهرات واعتصامات كثيرة لمطالبة المؤسسة الحاخامية الاعتراف بيهوديتهم، ولكن الرفض كان جواب هذه المؤسسة.

أوجدت سلطات الاستيعاب الصهيونية، مراكز تجمع مؤقتة للفلاشا القادمين في "كريات جات" الواقعة بين عسقلان وبئر سبع، وذكرت بعض مصادر المعلومات أنّ استيعاب هذه الطائفة اليهودية سوف يستغرق عاما كاملا أكثر من أي طائفة يهودية أخرى وهذا للتخلف الشديد للفلاشا وانتقالهم من مجتمعاتهم البدائية إلى المجتمع الإسرائيلي (الشمالي والدجاني، 1990، صفحة 209). لم يكن رفض يهودية الفلاشا مشكلتهم الوحيدة داخل إسرائيل بل واجهوا مشاكل عديدة داخل المستوطنات التي عاشوا فيها، فعلى سبيل المثال رفضت مدينة "إيلات" التي يبلغ عدد سكانها عشرون ألفا تزويد المستوطنين الفلاشا بالماء والكهرباء، والمستوطنات أخرى مثل صفد التي تظاهر سكانها ضدّ إعطاء المهاجرين من أثيوبيا بيوتا، كما أنّ مدينتا عكا ونهاريا منعتا توطين الفلاشا في بلديتهما بحجة أنّ هذه مدن سياحية ووجود الفلاشا لا يساعد كثيرا على اجتذاب السياح، وبهذا تفاقمت مظاهر العنصرية ضدّ الفلاشا (المسيري: 2\ 162).

وظلت مشكلة السكن للفلاشا هاجسا يؤرق حياتهم، فلا يزال حتى الآن الآلاف من اليهود الأثيوبيين يعيشون في بيوت متنقلة، وظلّ الفلاشا يحتجون على أوضاعهم أملا في تحسينها، ففي عام 1992م قام الفلاشا بمسيرة، مشيا على الأقدام من عسقلان إلى القدس، احتجاجا على الحالة المزرية التي كانوا يعيشون فيها؛ فقابلهم وزير الاستيعاب، ووعدهم بحل مشاكلهم التي طرحوها خلال ثلاث سنوات (هادي حسن، 1996، صفحة 7).

وهناك مشكلة أخرى اصطدم بها الفلاشا في إسرائيل وهي مشكلة التعليم، فقد جرى الحديث عن اتفاق سري بين الحكومة الإسرائيلية والوكالة اليهودية تم بموجبه توجيه أبناء الفلاشا إلى التعليم الديني رغم أنّ هذا مخالف لقانون التعليم الإلزامي في إسرائيل، الذي أعطى الحرية لأولياء التلاميذ والطلبة كي يختاروا توجيههم التعليمي المناسب لأبنائهم (إدريس، 1993، صفحة 192)، ويلتحقون بمدارس خاصّة وداخلية، لا ينتظم بها إلا اليهود الإثيوبيون وتدرس بها المذهب اليهودي الأرثوذكسي، وكذا التركيز على تعليم اللغة العبرية، وبعد إنهاء مراحل التعليم، تأتي مشكلة التوظيف داخل المجتمع اليهودي، وبالتالي الحديث عن انتشار البطالة بين أوساط الفلاشا، حيث بلغت نسبة البطالة بينهم إلى الخمسين بالمائة، وجل العائلات الفلاشية تعيش على المعونات، وعلى حسب ما نقلت"The Jérusalem report" في 10 -08- 1995م فإنّ سبع عوائل أثيوبية يهودية اضطرت إلى اعتناق المسيحية للخروج من الوضع الاقتصادي المزري، والاستفادة من مساعدة الجمعيات التبشيرية لها (هادي حسن، 1996، صفحة 7).

وينضاف إلى ما سبق ذكره من مشاكل، فإن المرأة الفلاشية لا يمكنها أن تقيم مراسم الطهارة وطقوسها الخاصة بها والتي اعتادت عليها في إثيوبيا (إدريس، 1993، صفحة 191)، كما سبق الإشارة إليها.

وجميع هذه النماذج من المشاكل التي يعيشها الفلاشا يوميا داخل الكيان الصهيوني، وأملهم في حياة أفضل مما كانوا عليه في إثيوبيا، ولكن المجتمع اليهودي فشل فشلا ذريعا في استيعاب هؤلاء المهاجرين، ودمجهم في فئات المجتمع المختلفة، مما أدى بالجيل الجديد من الشباب الإثيوبيين إلى تبني مظاهر مختلفة تميل إلى التراث الإفريقي، والانسلاخ من اليهودية، بسبب خيبة الأمل التي لاقوها من الحكومة والمجتمع اليهودي، مما قد يطرح مشاكل أكثر سوءا داخل المجتمع اليهودي في إسرائيل (هادي حسن، 1996، صفحة 7).

أمام هذه المشاكل المتفاقمة التي يعيشها الفلاشا المهاجرون إلى الكيان الصهيوني، يمكننا أن نتساءل ما هدف الحكومة الصهيونية ودوافعها الحقيقية وراء تهجير الآلاف من الفلاشا، ثم إبقاؤهم تحت ظروف معيشة قاسية؟ إنّه طبعا ليس الدافع الإنساني بل هي دوافع استراتيجية، لزيارة عدد سكان إسرائيل ومنحها الدعم الديمغرافي والاقتصادي والمالي والعسكري، من خلال هؤلاء المهاجرين وغيرهم، كما أنّ الفلاشا يعدون موردا اقتصاديا بسبب احترافهم للزراعة ومهن يرى الإسرائيليون أنها متدنية ولا تليق بهم، ولكن في المقابل سيواجه المجتمع اليهودي تركيبة عرقية متباينة ومختلفة؛ ستؤدي إلى الانفجار الاجتماعي.

خاتمة

في ختام هذه الورقة البحثية التي عُنيت بالتحقيق والتتبع التاريخي لواحدة من الفرق اليهودية التي لا تزال تثير الكثير من الجدل قديما وحديثا وهي فرقة يهود الفلاشا الاثيوبية نخلص إلى جملة من النتائج نجملها فيما يلي:

- تعود تسمية يهود الفلاشا بهذا الاسم نسبة إلى اللغة الأمهرية التي تعني المنفيين وغريبي الأطوار، كما تحمل معنى المهاجر والمنفي والاغتراب، وارتبطت دائما في المجتمع الحبشي بالغربة والانعزال.
- ينسب يهود اثيوبيا أنفسهم إلى الأصل اليهودي عرقا ودينا رغم البعد التاريخي والجغرافي بينهم وبين باقي الطوائف اليهودية.
- اُختلف كثيرا في تحديد الأصول التاريخية لتهود فرقة الفلاشا بين المؤرخين والباحثين حد التناقض في الآراء التي لا تسمح بترجيح رأي على آخر، إلا أن المعطيات الدينية لتهود الفلاشا ترجح تهود هؤلاء وهم من سكان المنطقة واعتناقهم اليهودية تحت تأثير انتقال اليهود إلى المنطقة في زمن ما.
- سعت الصهيونية بكل أذرعها وامكانياتها بعد اكتشاف وجود يهود في اثيوبيا، إلى استغلال هؤلاء في مشاريعها الاستيطانية والاستعمارية على أرض فلسطين، واستطاعت بشتى الطرق وبمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية تهجيرهم إلى فلسطين.

- يحاول الكيان الصهيوني تحقيق انصهار واندماج داخل المجتمع الاسرائيلي المستحدث بين شتى الفرق والطوائف اليهودية العائدة من الشتات، إلا أن يهود الفلاشا من أكثر الطوائف اليهودية التي لاقت صعوبات كثيرة جدا في الاندماج مع باقي اليهود وهو ما أثر على أوضاعهم داخل الكيان الصهيوني.
- يفتح موضوع يهود الفلاشا العديد من الأسئلة العميقة حول الديانة اليهودية في حد ذاتها عقيدة وتاريخا، وفي تاريخ الطوائف اليهودية وتهودها وانتقالها إلى الكيان الصهيوني الذي يحاول أن يجمع افتراق اليهود في مجتمع واحد تحت غطاء الديانة اليهودية، لتحقيق مآرب استعمارية واستيطانية على أرض فلسطين.
- **التعليقات**
- **التعليق رقم: 1** - لغة الجعيز: هي أقدم لغة سامية انتقلت إلى الحبشة إثر زحف القبائل العربية من جنوب الجزيرة العربية إلى الحبشة على مدى أجيال متباعدة، ومعها دخلت لغاتها ولهجاتها، كان أقدمها لغة الجعيز اللغة الأم بالنسبة لقبيلة يمنية تدعى "الأجاعز"، كتبت بها الكثير من المخطوطات والآثار، واليوم الطقوس الدينية لكنيسة الحبشة واليهود الفلاشا تكتب بلغة الجعيز (سوسة، 2003، صفحة 209)
- **التعليق رقم: 2** - الأبوكريفا أو المنحولة، وأصل اللفظ يوناني يعني السّري والمخفي، وللفظ تغيرات في المعنى عبر التاريخ فكان يقصد بها الكتب التي يطلع عليها خاصة الناس، ومع القرن الرابع الميلادي وتحديد الأسفار القانونية للكتاب المقدس لدى المسيحيين أصبح اللفظ يطلق على الكتابات غير القانونية التي كتبها أو استعان بها هراطقة، مما كتب بعد الكتب القانونية"(Encyclopédia of christianç thelogy ,2005: 1/ 690)
- **التعليق رقم: 3** - الرحالّة "جيمس بروس" (1768 – 1773م) أسكتلندي الأصل، عين من طرف الحكومة البريطانيا قنصلا في الجزائر، ومنها أعطي حق التجول وتصريح يقضي برحلته صوب إفريقيا سنة 1768م، ومن الجزائر انطلق صوب الإسكندرية، ثم إلى إفريقيا تقرب من حاكم الحبشة مما سمح له بحرية التجول في كل أنحاء البلاد، ومما سمح له باكتشاف منابع النيل الحبشية (الجمل، 1987، صفحة 20 – 23).
- **التعليق رقم: 4** - يرجع الباحثين تأسيس مدينة "أكسيوم" وظهور أسرة ملكية في أكسيوم إلى القرن الثاني قبل الميلادية، استنادا إلى العالم الجغرافي "كلوديوس بطليموس"، التي أيدتها الاكتشافات والرحالات الحديثة. (اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام –اليونسكو: 2\ 347).
- **التعليق رقم: 5- William Robertson Smith ويليام روبرتسون سميث (1894 – 1846) مستشرق إسكتلندي وعالم** في العهد القديم وأستاذ الإلهيات وقس كنيسة اسكتلندا الحرة. كان من محرري الموسوعة البريطانية وهو معروف بكتابه *دين الساميين* الذي يعتبر نصا أساسيا في مقارنة الأديان. (موقع الموسوعة البريطانية: https://www.britannica.com/topic/biblical-literature ، تاريخ الاطلاع: 03. 11. 2024 سا 14:45)

- **التعليق رقم: 6-** الجاؤونيم: زعماء الطوائف الدينية، وهي كلمة عبرية مفردها (جاؤن) بمعنى "علامة في شؤون الدين" (فقيه) وكانت لقبا لرؤساء المعاهد التلمودية العليا، من القرن السادس حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وخلال هذه الفترة تمتع الجاؤونيم بكل الصلاحيات العليا لسن التشريعات اليهودية. (الشامي، 2002، صفحة 81)
- **التعليق رقم: 7 -** أقدس الأماكن في الهيكل اليهودي، وهو عبارة عن حجرة بدون نوافذ تقام على مستوى أعلى من بقية الهيكل، ويوضع فيها تابوت العهد (تماما مثل قدس الأقداس في خيمة الاجتماع)، لا يدخل قدس الأقداس سوى كبير الكهنة في عيد يوم الغفران. (السعدي، ، صفحة 69).
- **التعليق رقم: 8-** هيلاسي لاسي :كان جده الأكبر الملك "سهلا سلاسي" الذي كان ملكا على إقليم شوا قبل منليك، ووالده الرأس ماكونين الذي قاد الجيش الحبشي في انتصاره على الايطاليين في موقعة "أمبا ألاجي" في ديسمبر1895م،و كانت له صلة قربى بالملك منيليك، وكان واليا على مقاطعة هرر التي ولد فيها ابنه "تفري " في 23 يوليو 1891م، عينه منيليك حاكما على مقاطعة سيداهو وهو لم يبلغ العشرين، وبعد وفاة والده وأخوه الأكبر عين حاكما على مقاطعة هرر مسقط رأسه، وفي عام 1911م تزوج من (ويز رومين wayza romenen) التي جلست معه على عرش أثيوبيا، ويعود له الفضل في تثبيت أركان إمبراطورية عظمى تتوارث السلالة السليمانية فهو يلقب بـ: أسد قبيلة يهوذا ووقف بحزم أمام الدول الأوربية التي تريد النفوذ والسيطرة كإيطاليا وبريطانيا وفرنسا. (غيث: 262.)

قائمة المراجع

1. إدريس، محمد جلاء (1993)، يهود الفلاشا أصولهم وعقائدهم وعلاقتهم بإسرائيل، القاهرة: مكتبة مدبولي.
2. البرموسي، روفائيل، (2003)، الحياة اليهودية بحسب التلمود، (ط1)، مصر: دار نوبار، دير السيدة العذراء، برموس.
3. بن كمونه، سعد بن منصور، (دت)، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث –اليهودية والمسيحية والإسلام-، (ط2)، لبنان، دار الأنصار.
4. التونجي، محمد، (2002)، معجم الطلاب المزدوج عربي عبري –عبري عربي، دار الكتب العلمية.
5. الجمل شوقي عطا الله وإبراهيم عبد الله عبد الرازق، (2002)، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، (ط2)، الرياض: دار الزهراء.
6. الجمل، شوقي عطا الله، (1987)، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، (ط1)، قطر: دار الثقافة.
7. الحارتي، إبراهيم، (دت)، الصهيونية من بابل إلى بوش، دب: دار البشير للثقافة والعلوم.
8. حسين، غازي، (1992)، إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية.
9. الخوند، مسعود، (1994)، الموسوعة التاريخية الجغرافية.
10. رينان، أرنست، (1998)، اليهودية كجنس ودين.
11. السعد، جودت، (1998)، أوهام التاريخ اليهودي، (ط1)، عمان، دار الأهلية.

12. السعدي، غازي كامل، (1994)، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، (ط1)، عمان، دار الجليل

13. سوسة، أحمد، (2003)، أبحاث في اليهودية والصهيونية، الأردن: دار الأمل.

14. الشامي، رشاد عبد الله، (1997)، إشكالية اليهودية في إسرائيل، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

15. الشامي، رشاد، (2002)، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة.

16. شمالي، نصر والدجاني، هشام، (1990)، الظروف التاريخية للهجرات اليهودية –من خزاريا إلى أوربا وأمريكا، إلى فلسطين المحتلة، (ط1)، دمشق، دار المستقبل.

17. ظاظا، حسن، (1971)، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.

18. غيث، فتحي، (دت)، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، القاهرة: مكتبة النهضة.

19. كيوان، مأمون، (1996)، اليهود في الشرق الأوسط الخروج الأخير من الجيتو الجديد، (ط1)، دار الأهلية.

20. اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام –اليونسكو-، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو: جين أفريك.

21. المسيري، عبد الوهاب، (2002)، الجماعات الوظيفية اليهودية، (ط1)، القاهرة، دار الشروق.

22. المسيري، عبد الوهاب (دت)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (ط1)، القاهرة: دار الشروق.

23. هادي حسن، جعفر، (2011)، قضايا وشخصيات يهودية، (ط 1)، بيروت: العارف للمطبوعات.

24. ولفنسون، إسرائيل، (1927)، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مصر. مطبعة الاعتماد.

كتب أجنبية

25. Encyclopédia of christian thelogy, (2005), New york, Roultage, Great Britain.
26. Robinson, M, (1994), Sur la question de l'influence juive en Ethiopie, JSS9.

الصحف

27. هادي حسن، جعفر (1996)، اليهود الإثيوبيين: سيرتهم ومسيرهم –المؤرخين العرب أول من تحدث عن وجودهم-"، جريدة الحياة، لندن، العدد 12039.

28. هادي حسن، جعفر، (1996)، اليهود الأثيوبيون: سيرتهم ومسيرتهم –عزلة سكنية في بيوت متنقلة وانعزال اجتماعي-"، جريدة الحياة، لندن، العدد 12042.

29. هادي حسن، جعفر، (1996)، اليهود الأثيوبيين (الفلاشا): سيرتهم ومسيرتهم-من العزلة في أثيوبيا إلى الحصار في إسرائيل، جريدة الحياة لندن، بريطانيا، العدد 12040.

رسائل الماجستير

30. أشبير، أحمد فوزي خالد، (دت)، *الفرق اليهودية نشأتها وعقائدها*، رسالة ماجستير، الجامعة العراقية، كلية أصول الدين.

مجلات ودوريات

31. حسين، كريم حمود وبارق، فوزي هادي، (2023)، تهجير يهود الفلاشا الأثيوبيين لإسرائيل ما بين عامي 1977- 1991، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة المستنصرية، العدد 29، ص 97-107.

32. ولد الأمير، سيدي أحمد، العلاقات الإسرائيلية الإفريقية.. الخروج من السر إلى العلن، (2017)، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة.

مواقع الأنترنت

33. موقع الموسوعة البريطانية: https://www.britannica.com/topic/biblical-literature، تاريخ الاطلاع: 03. 11. 2024 سا 14:45)